فاقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال
فقال احرجني الرجل فتكلمت، واحوجني الى ما به اعلمت، اسات الى الحاجب، واوجبت غير الواجب، او ما علمت ان مكروب السلطان لا يسلم على اوليائه لانه ان فعل الزمهم الرد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فان فعلوا لحق بهم من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لانه تانيس لمن اوحش وتامين لمن اخاف، وان تركوا الرد اسخطوا الله فصار الامساك احسن، ومثل هذا لا يخفى على ابي الحسن، فانكر ابن حفص ونجل مما اتى بعض النقص، وبلغه ان اقواما توجعوا له، وتحجبوا اما وصله، فكتب اليهم شعرا:
اخي الى انفاسكم فاطلبها بواعث انفاس الحياة الى نفسي
وان زمانا مارت فيه مقيدا لاثقل من رضوى واضيق من امسي
انتهى كلام ابن ابي عامر. ثم نقول ولما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر ابو مروان يجري على سنن ابيه في السياسة والغزو وكانت ايامه اعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفرا الى ان مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة في المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين وكان ابنه المعز بن زيري ملك مغراوة بعد ان استرجع فاسا والمغرب الذي موت ابيه فكتب له العهد على المغرب وثارت الطوائف في ممالكهم وتحركت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم. ثم قام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقيل بالمامون وجرى على سنن ابيه واخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له راي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد ان يوليه عهده فاجابه واحضر لذلك الملا من ارباب الشورى واهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا فكتب عهده من انشاء ابي حفص بن برد بما نصه هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله امير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة واعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد ان امعن النظر واطال الاستخارة واهمه ما جعل الله اليه من الامامة، وعصب به من امر المسلمين، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف، وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه، ونزل مقدوره به، ولم يرفع لهذه الامة علما تاوي اليه، وملجا تنعطف عليه ان يكون يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن اداء الحق اليها، ونقص عند ذلك من احياء قريش وغيرها من يستحق ان يسند هذا الامر اليه، ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وامانته وهديه وصيانته، بعد اطراح الهوى والتحري للحق والتزلف الى الله جل جلاله بما يرضيه، وبعد ان قطع الاواصر واسخط الاقارب، فلم يجد احدا اجدر ان يوليه عهده، ويفوض اليه الخلافة بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المامون الغيب الناصح الجيب ابي المطرف عبد الرحمن بن المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر وفقه الله اذ كان امير المؤمنين ايده الله قد ابتلاه واختبره، ونظر في شانه واعتبره، فراه سارعا في الخيرات، سابقا في الحلبات، مستوليا على الغايات، جامعا للماثرات، ومن كان المنصور اباه، والمظفر اخاه، فلا غرو ان يبلغ من سبل البر مداه، ويحوي من خلال الخير ما حواه، مع ان امير المؤمنين ايده الله بما طالع من مكنون العلم، ووعاه من مخزون الاثر يرى ان يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصي وابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه، فلما استوى له الاختيار، وتقابلت عنده فيه الاثار، ولم يجد عنه مذهبا، ولا الى غيره معدلا، خرج اليه من تدبير الامور في حياته، وفوض اليه الخلافة بعد وفاته، طائعا راضيا مجتهدا، وامضى هذا امير المؤمنين واجازه وانفذه ولم يشترط فيه مثنوية ولا خيارا، واعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذمم الخلفاء الراشدين من ابائه وذمة نفسه ان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول، واشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا، واشهد وهو جائز الامر ماضي القول والفعل بمحضر من ولي عهده المامون ابي المطرف عبد الرحمن ابن المنصور وفقه الله وقبوله ما قلده والزامه نفسه ما الزمه وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط ايديهم وتسمى بعدها بولي العهد ونقم عليه اهل الدولة ذلك فكان فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهة لذلك الامويون والقرشيون فغصوا بامره واسفوا من تحويل الامر جملة منهم الى اليمنية فاجتمعوا لشانهم وتمشت من بعض الى بعض رجالاتهم واجمعوا امرهم في غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة بغزاة من صوائفه، ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وخلعوا هشاما المؤيد، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن امير المؤمنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفاء، ولقبوه بالمهدي بالله، وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه من الثغر فانفض جمعه وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسلل عنه الناس من الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القائم بالامر واغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ماجنا مستهترا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبض عليه واحتز راسه وحمله الى المهدي والى الجماعة، وذهبت دولة العامريين كان لم تكن، ولله عاقبة الامور. وفي المهدي يقول بعضهم:
قد قام مهدينا ولكن • بملة الفسق والمجون
وشارك الناس في حريمهم • لولاه ما زال بالمعصون
من كان من قبل اماما • فاليوم قد صار ذا قرون
وكان رؤساء البربر وزناتة لحقوا بالمهدي لما راوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض امره وكانت الاموية تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلب المنصور وبنيه على الدولة اليهم فسخطتهم العامة وخزرتهم العيون ولولا ما لهم من العصبية لاستاصلهم الناس ولغطت السنة الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وامر المهدي ان لا يركبوا ولا يتسلحوا ورد بعض رؤسائهم في بعض الايام من باب القصر فانتهبت

ولاية عبد الرحمن بن المنصور

ولاية محمد بن هشام الملقب بالمهدي

العامة

العامة دورهم، وشكى بعضهم الى المهدي ما اصابهم فاعتذر وقتل من اتهم من العامة في امرهم وهو مع ذلك مظهر بغضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم، وبلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشت رجالاتهم وامروا بنجواهم واشتوروا في تقديم هشام بن سليمان بن امير المؤمنين الناصر، ونشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك واغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وازعجوهم عن المدينة وتقبض على هشام واخيه ابي بكر واحضرا بين يدي المهدي فضرب اعناقهما، ولحق سليمان بن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتذامروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدي في كافة اهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما يزيد على عشرين الفا وهلك من خيار الناس وائمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم، ودخل المستعين قرطبة ختام المائة الرابعة، ولحق المهدي بطليطلة واستجاش بابن ادفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة المهدي وملكها، وخرج المستعين مع البربر وتفرقوا في البسائط ينهبون لا يبقون على احد، ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدي ومعه ابن ادفونش لاتباعهم فكروا عليهم فانهزم المهدي وابن ادفونش ومن معه من المسلمين والنصارى، واتبعهم المستعين الى قرطبة فاخرج المهدي هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بامر حجابته ظنا منه ان ذلك ينفعه، وهيهات، وحاصرهم المستعين والبربر وتخشى اهل قرطبة من انتقامهم عليهم فاغروا اهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدي وان الفتنة انما جاءت من قبله، وتولى كبر ذلك واضح العامري فقتلوا المهدي واجتمع الكافة على المؤيد، وقام واضح بحجابته، واستمر الحصار ولم يغن عن اهل قرطبة شيئا، الى ان هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعدمت المرافق وجهدهم الحصار، وبعث المستعين الى اهل ادفونش يستعدهم لمظاهرته، فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك بان ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التي كان المنصور افتتحها فسكن من مظاهرتهم عزم ادفونش، ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث واربعمائة، وقتل هشاما سرا، ولحق ببيوتات قرطبة معرة في نسائهم وابنائهم، وظن المستعين ان قد استحكم امره، وترتبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد الواسعة، مثل باديس بن حبوس في غرناطة، والبرزالي في قرمونة، واليفرني في رندة، وخزرون في شريش، وافترق شمل الجماعة بالاندلس، وصار الملك طوائف في اخرين من اهل الدولة، مثل ابن عباد باشبيلية، وابن الافطس ببطليوس، وابن ذي النون بطليطلة، وابن ابي عامر ببلنسية، وابن هود بسرقسطة، ومجاهد العامري بدانية والجزائر. وقال الشاعر وكان مائلا لبني حمود يهجو سليمان المستعين شعرا:
لا رحم الله سليمانكم • فانه ضد سليمان
ذاك به غلت شياطينها • وحل هذا كل شيطان
فباسمه ساحت على ارضنا • لهلك سكان واوطان
وكان من اعظم الاسباب في فساد دولة المستعين انه قال هذه الابيات ينسبها الى خواصه قوله:
حلفت بمن صلى وصام وكبرا • لاغمدها فيمن طغى وتكبرا
وانصر دين الله تحيى رسومه • فيدل ما قد لاح منها وغيرا
فواعجبا من عبشمي مملك • برغم العوالي والمعالي تبربرا
فلو ان امري بالخيار نبذتهم • وحكمتهم للسيف حكما مؤزرا
فاما حياة تستلذ بفقدهم • واما حمام لا نرى فيه منكرا
وقد سلك هذا المسلك المرتضى المرواني فقال:
قد بلغ البربر فينا بنا • ما افسد الاحوال والنظما
كالسهم للطائر لولا الذي • فيه من الريش لما اصمى
قوموا بنا في شانهم قومة • تزيل عنا العار والرغما
اما بها نملك او لا نرى • ما يرجع الطرف به اعمى
وكان علي بن حمود الحسني واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وبابيها قد اجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصوصب عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة سبع واربعمائة، وقتلوا المستعين، ومحوا ملك بني امية، واتصل ذلك في خلف منهم سبع سنين، ثم رجع الملك الى بني امية، وكان المستعين المذكور اديبا بليغا، ومن شعره يعارض هارون الرشيد في قوله: ملك الثلاث الانسات عناني • الابيات، قوله:
عجبا يهاب الليث حد سناني • واهاب سحر فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا • منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى • زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري • من فوق اغصان على كثبان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا • فقضى بسلطان على سلطان
هذي الهلال وتلك بنت المشتري • حسنا وهذي اخت غصن البان
فابحن من قلبي الحمى وتركنني • في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى • ذل الهوى عز وملك ثاني
ما ضر اني عبدهن صبابة • وبنو الزمان وهن من عبداني
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى • كلفا بهن فلست من مروان
ثم ان ابن حمود الحسني تلقب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضى اخا المهدي، ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلي بن حمود نحو عامين الى ان قتله صقالبته بالحمام سنة ثمان واربعمائة فولي مكانه اخوه القاسم وتلقب المامون، ونازعه الامر بعد اربع سنين من خلافته يحيى بن اخيه، وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة، وكان اخوه ادريس بها منذ عهد ابيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة اثنتي عشرة واربعمائة وتلقب المعتلي، وفر عمه المامون الى اشبيلية وبايع له القاضي بن عباد واستجاش ببعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة وملكها ولحق المعتلي بمكانه من مالقة

ولاية سليمان الملقب بالمستعين

ولاية هشام المؤيد ثانيا

ولاية علي بن حمود الحسني

ولاية القاسم الملقب بالمامون

Copyright King Saud University